



صحيفة العرب القطرية

آراء وقضايا

5 نوفمبر 2009

## ما أصعب الكلام - مشيناها خطى



وداد الكواري

كثرت الإصدارات الخاصة بالسيرة الذاتية في العصر الحديث. وزاد الإقبال على قراءتها، خاصة إذا كانت تتضمن فضائح خاصة. ولعل أشهر هذه السير اعترافات جان جاك روسو الذي يقول في بدايتها: إنه سيعرض نفسه على حقيقتها ولن يموه فيها. ولن يخفي سيئة أو يزيغ حسنة. إنما سيذكر الحق مجردا. ولن ينقص منه شيئا. ولم يحقق كتاب بل كلينتون النجاح المطلوب، بل إن القراء ركزوا على عدة صفحات فقط وهي التي ورد فيها اسم المتدربة (مونيك) في حين حققت الأخيرة نجاحا كبيرا بتصريحاتها وجنت ثروة من صراحتها المشينة.. أما أشهر الاعترافات فقد كانت لكازانوف التي كتبها في سجنه الطويل وكانت عبارة عن عدة مجلدات.. وفي تراثنا العربي هناك سيرة ابن خلدون التي كتبها بنفسه. وأثارت سيرة حياة الفيلسوف العربي في العصر الحديث (عبدالرحمن بدوي) نقمة الأدباء المعاصرين له لما تضمنته من صراحة جارحة، وهناك سير ذاتية غنية بالمعرفة والتجارب التي يمكن الاستفادة منها وهي ليست كثيرة. منها سيرة حياة جلال أمين الاقتصادي الكبير ومنها السيرة الذاتية للمؤرخ (رؤوف عباس) وهي بعنوان مشيناها خطى. والتي كتبها بعد أن وصل لسن النضج والكهولة (65 عاما). وأشار إلى نفسه بكلمة صاحبنا فيقول: لم يكن صاحبنا حكيما خاليا من العيوب والأخطاء. فلا يوجد قديسون بين البشر. فجميعهم خطأون. وكثيرا ما يتأمل صاحبنا هذه المواقف التي مرت به ويعيد تقييمها. فيأخذ على نفسه أنه بالغ في سوء الظن بمواقف معينة. ولكن ليس كل الظن إثما على أية حال. حسبه أنه لم يتخذ موقفا يوما ما يدافع شخصي محض. وكثيرا ما يكتشف أنه وضع ثقته في غير أهلها. وظن أن كل ما يلمع ذهب. ويهدي المؤرخ كتابه إلى الشباب.. عساهم يجدون فيه ما يفيد. ويهديه أيضا لمن يسمون حياة الشباب علمهم يتعظون. وهو لا يخجل من فقره ولا من رقة حاله، بل يتحدث بأسلوب سلس وبسيط عما تعرض له وعمّا عاشه. وحرص وهو يتحدث عن فساد من عاشرهم على عدم ذكر أسمائهم مكتفيا بوصف ما فعلوه وما قاموا به بالتفصيل. وظهرت المرارة في كلماته وهو يتحدث عن الجامعة التي قام بالتدريس فيها بمرارة؛ حيث تقشى الفساد إلى بيت الحكمة. وهو يقول على لسان صاحبنا: كان يظن أنها مثال للنزاهة والنقاء وخالية من الآفات التي يعانيتها المجتمع في الخارج. وكان يظن أنها العقل المفكر الذي يرسم للأمة خطاها. فاكشف أنه كان واهما. وتبين له أن الجامعة خلية من خلايا المجتمع. تتأثر بما يصيب بقية الخلايا من عطب وأمراض، وأنها مرآة تتعكس عليها صورة المجتمع بما فيه من تناقضات وعلل وأوجاع.

<http://www.alarab.com.qa/details.php?docId=104374&issueNo=685&seclD=16>